

رواية استشهاد القديس الحارث بن كعب النجراني باللغة العربية /الأب
حارث إبراهيم. — Extrait de : Parole de l'Orient : revue
semestrielle des études syriaques et arabes chrétiennes :
recherches orientales : revue d'études et de recherches
sur les églises de langue syriaque. — vol. 30 (2005), . ص
227-211 .

Titre de couverture : Actes du 7e congrès international
des études arabes chrétiennes, Sayyidat al-Bir, septembre
2004

I. Arethae the Najranite, Saint — Biography.

PER L1183 / FT189879P

رواية استشهاد القديس الحارث بن كعب النجرانيّ باللغة العربيّة

بقلم
الأب حارث إبراهيم

212	مقدّمة
214	١- تباين تصوص النسخ العربيّة (المستخدمة في التحقيق) واتّفاقها
221	٢- مساهمة المصادر العربيّة غير المسيحيّة في تأكيد ما ورد في الرواية العربيّة
227	The Arabic version of the Martyrdom of St Arethae the Najranite

مقدمة

أتحدّث اليوم عن الرواية العربية لاستشهاد القديس الحارث النجراني بنسخها المتعدّدة، المتوفّرة لديّ والتي ليّ عِلْمٌ بها. وقد قمتُ بتحقيق المخطوطة السينائية العربية رقم ٤٢٨. بمقابلتها مع ثلاث مخطوطات بلمندية (من دير سيده البلمند)، وستشرها قريباً جامعة البلمند.

المخطوطة العربية السينائية رقم ٤٢٨ هي أقدم المخطوطات العربية المعروفة حتّى الآن (على حدّ علمي) ومن هنا تأتي أهمية النص الذي تُروى فيه قصّة استشهاد القديس الحارث ومن معه من أهل نجران. المخطوطة مكتوبة بخطّ كوفيٍّ جميل، ولكنّ خطّها، لقدمها ولسوء حفظها ولنوعية الحبر المستخدم فيها، ضعّف وبهت في حرفٍ أو حروفٍ أو حتّى كلمات، واستعصت قراءتها في بعض الأحيان. وقد ساعدت مقابلتها مع سائر المخطوطات البلمندية في جلاء لُغزٍ بعض الحروف أو الكلمات فمكّنتني من قراءة النصّ الوارد فيها والتعليق عليه.

أبدأ أولاً بالقول أنّ كلّ مُطالعٍ في هذه المخطوطة السينائية وفي رواية استشهاد القديس الحارث وجماعته أهل نجران، سيلاحظ، دون شكّ، أنّ هذا النصّ يتبع الخطّ العام للرواية اليونانية المنشورة، وليس للسريانية، وأنّه غير موضوع باللغة العربية أصلاً وأنّه لا بُدّ مترجم عن اليونانية بشكل رئيسي وليس عن غيرها. أسوق بعض الأمثلة على ذلك:

يستعمل المترجم حرف السين المميّز لنهاية الكلمات باللغة اليونانية في كثير من أسماء العَلَم: يسطينيانوس - طيماثاوس - اوفراسيوس^٢. ولا يكتب أسماء الشهور

(١) المخطوطات المستخدمة في التحقيق هي: المخطوطة السينائية العربية رقم ٤٢٨ وتعود للقرن العاشر الميلادي، المخطوطات البلمندية: رقم ١٥٣ وتعود لأواخر القرن السادس عشر، ورقم ١٣١ وتعود للقرن الثامن عشر، ورقم ١٥٤ وتعود للقرن التاسع عشر. وفي هذه المقالة استخدمت، للمقارنة بين النصوص الطويلة غير الموجزة، المخطوطة السينائية العربية رقم ٥٣٥ التي تعود للقرن الثالث عشر، ومخطوطات أخرى أشير إلى مكان وجودها ورقمها حين أذكرها.

(٢) الجمل رقم ٢ و٤ و٥ في النصّ العربي المنشور، وجه وظهر الورقة ١٩٣ من المخطوطة السينائية. وهناك استثناء واحد فقط، وهو اسم الملك يوستينوس، إذ يكتبه مترجم المخطوطة السينائية "يسطين" دائماً حيثما يرد.

السريانية المتداولة في أنطاكية بل يُترجمها حرفياً عن اليونانية، فيكتب اقطميرس^٣ بدل تشرين الأول، و سبتمبرس^٤ بدل أيلول، ابرلس^٥ بدل نيسان. ويكتب اسم الملك الحبشي هكذا: "الاسباس"^٦، بدل اللفظة العربية الواردة لدى أكثر المؤرخين القدامى، وهي "الأصبه"، التي بعد نقلها إلى اليونانية تعود إلى العربية كما وردت أعلاه "الاسباس". ومثلها اسم الملك الحِميريّ المتهود/اليهوديّ "دُنحاس"^٧ بدل اللفظة العربية الواردة لدى أكثر المؤرخين القدامى، وهي "ذو نواس"، التي أيضاً بعد نقلها إلى اليونانية تعود إلى العربية كما وردت أعلاه. كما يكتب اسم مدينة الإسكندرية على طريقة لفظها باليونانية "الاكسندرية"، ناهيك عن تركيبة الجملة التي لا تتبع قواعد اللغة العربية: فعل - فاعل - مفعول، مثل الجملة رقم ١٢ (وجه الورقة ١٩٤ من المخطوطة السينائية) التي تتحدث عن ساكني سبأ أنهم يزعمون أنهم يهود فتقول في شقها الثاني: "وبالحقيقة للاوثان كانوا يكرموا"، على طريقة صياغة الجملة في اللغة اليونانية.

نصُّ الرواية العربية التي بين أيدينا لا تنقص أهميته على الإطلاق بسبب كونه مترجماً عن اليونانية، فهو على أهميته كنصّ عربي يكتب أهمية من كونه يأتي على ذكر أحداثٍ لا تذكرها الرواية اليونانية أو السريانية لاستشهاد القديس حارث. مثلاً: حكاية الرضيع المتكلم، لا ترد في الروايتين اليونانية والسريانية، لكن المصادر العربية غير المسيحية دونت هذه الحكاية نقلاً عن المحكيّات عند العرب قبل الإسلام. وكما تتباين الأخبار في تلك المحكيّات من راوٍ إلى آخر كذلك تتباين الأخبار في النسخ العربية الموجودة، وأعني بذلك تلك الروايات الطوال، وليس المختصرات الصغيرة التي تسقط الكثير من الأحداث في سبيل الإيجاز.

(٣) الجملة رقم ٣ في النصّ العربيّ المنشور، وجه الورقة ١٩٣ من المخطوطة السينائية ٤٢٨ (وهي المستخدمة في التحقيق).

(٤) الجملة رقم ٣٢٥ في النصّ العربيّ المنشور، ظهر الورقة ٢١٤ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

(٥) الجملة رقم ٤٣٩ في النصّ العربيّ المنشور، ظهر الورقة ٢٢٢ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

(٦) الجملة رقم ٥ في النصّ العربيّ المنشور، ظهر الورقة ١٩٣ من المخطوطة السينائية ٤٢٨. أمّا المخطوطات البلمندية رقم ١٣١، ١٥٣ و ١٥٤ فكلها تكتب الاسم "السفان" أو "السفان".

(٧) الجملة رقم ٧ في النصّ العربيّ المنشور، ظهر الورقة ١٩٣ من المخطوطة السينائية ٤٢٨. أمّا المخطوطات البلمندية رقم ١٣١، ١٥٣ و ١٥٤ فكلها تكتب الاسم "ذونان".

يتحدّث المترجم عن سكان سبأ فيقسمهم إلى حنفاء ويهود (الجملة ٩) ثم ما يلبث أن يقول عن المدينة أنّها كافرة (الجملة ١٢) لأن اليهود فيها ضلّوا، إذ كانوا يُكرّمون الأوثان (الجملة ١٣)^٨، دون أن يذكر وجود وثنيين فيها. وعندما تخاطب القديسة دهما بنت أزمع نساء المدينة نجران، تقول: "مَن كان منكُنَّ يهودية أو حنيفة"، وهؤلاء غير النساء العفيفات الصالحات (الجملة ٢١١). أي يوجد في المدينة يهوديات وحنيفات ونساء صالحات مسيحيات. فإذا كانت الديانات الموجودة في جنوب غرب الجزيرة العربية هي: المسيحية ومركزها نجران، واليهودية ومركزها سبأ، والوثنية وليس لها مركز بل موزّعة، فإنّ الصفة "حنيف" الواردة أعلاه تأتي مرادفة لصفة "وثني"، وهو التفسير الذي يعطيه البعض للكلمة "حنيف" السريانية. يَصُحُّ هذا التفسير أيضاً للجملة ١٣٢ بأنّ الحارث ابن رجلٍ حنيف، أي أنّ أباه كان وثنيّاً لكنّه هو نفسه اهتدى إلى الإيمان بالمسيح. ويؤكد هذا المعنى قول القديس حارث في خطابه إلى السكان: "يا معشر النصراني واليهود والحنفا" (الجملة ٢٨٦). ولا يوجد، في النصّ العربي الذي بين أيدينا، تمييز بين الحنفاء والوثنيين إلّا في الجملة ٤١٤ حيث يستهزئ المراهقة^٩ بالمؤمنين أمام جميع "الحنفا واليهود وأصحاب الأوثان".

١- تباين نصوص النسخ العربية (المستخدمة في التحقيق) واتّفاقها

١. كلها تبدأ: "في السنة الخامسة من مُلك"، لكنها تختلف في تسمية ملك الروم فتقول السينائية ٤٢٨: "يسطين"، وتُعرفه أنّه عم "يسطينيانوس"، فيما تذهب المخطوطات البلمندية: ١٣١، و١٥٣، و١٥٤، إلى اعتباره "يوستينيانوس"، لكن السينائية العربية ٥٣٥ تشطّ كثيراً فتزوي أنّ الأحداث صارت زمن "قسطنطين"! وهذه مفارقة كبيرة.
٢. تذكر السينائية ٤٢٨ حساباً أنطاكياً^{١٠} ثم تحدّد فتقول "السريان الأنطاكيين" تمييزاً عن حساب آخر لأنطاكيين غير سريان، وهذا يُلمح إلى مرحلة تاريخية متأخرة عن

(٨) تذكر السينائية ٥٣٥ في السطر الأخير من وجه الورقة ٨٠ والسطر الأول من ظهرها أنّ الكثير من اليهود كان معهم "أصنام يعبدونها".

(٩) أي بدعة مسيحية منحرفة عن الإيمان القويم.

(١٠) في الجملة رقم ٣ في النصّ المنشور، وجه الورقة ١٩٣ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

زمن هذه الأحداث انقسم فيها الأنطاكيون. أما المخطوطات البلمندية فتقول مباشرة "على حساب السريان" دون أن تذكر صفة أنطاكيين فالسريان أنطاكيون والأنطاكيون سريان، فيما تذهب السينائية ٥٣٥ إلى تأريخ الأحداث على "حساب الدهر سنة خمس الف وسبع مائة وسبعة عشر سنة ومن حساب الانطاكيين سنة ان وخمسة وثلثون سنة". الرقم الأخير مبهم وغير صحيح، وعلاوة على ذلك فالسينائية ٥٣٥، في كل الأحوال، لا تورِّخ الأحداث على سنة تملك ملك الروم بل تذكر حساباً أنطاكياً!

٣. كلّها تذكر أسماء البطارقة الجالسين على الكراسي الرسولية باستثناء كرسي روما. تذكر السينائيتان ٤٢٨ و ٥٣٥ أسماءهم على الترتيب الآتي: أورُشليم – الإسكندرية – القسطنطينية – أنطاكية، أما المخطوطات البلمندية فتذكرهم على الترتيب الآتي: القسطنطينية – الإسكندرية – أنطاكية – أورُشليم، وهو ترتيب متأخر.

٤. كلّها تذكر أنّ الملك اليهودي تملك على سبأ التي سُكَّانها من الخنفاء واليهود^{١١}، لكن السينائية ٥٣٥ تذكر أنّ إنساناً اسمه "فنجاس"، دون أن تصفه باليهوديّ هنا، وتقول أنّه "ملك على يهود تلك الارض كلّها".

٥. تذكر المخطوطتان السينائيتان ٤٦٩ و ٥٣٥ أنّ سبب هجرة اليهود الكبيرة إلى سبأ هو الهرب "من بطش فاسباسيانوس وطيطس ومن قدّام نصارى الشام"^{١٢}.

٦. تذكر المخطوطات البلمندية أنّ مدينة نجران قبلَ الإيمان بالمسيح من سمعان الرسول المعروف "بالقناني"^{١٣}، لكنّ المخطوطتين السينائيتين ٤٢٨ و ٥٣٥ لا تذكران شيئاً عن أصل المسيحية بنجران^{١٤}.

(١١) الجملة رقم ٩ في النّص العربيّ المنشور، ظهر الورقة ١٩٣ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

(١٢) ظهر الورقة ٨٠ من المخطوطة السينائية ٥٣٥، وعلى ما ذكر الأستاذ عرفان شهيد في كتابه "The Martyrs of Najran" ص ١٨٣: ظهر الورقة ١١٤ في المخطوطة السينائية ٤٦٩.

(١٣) الجملة رقم ١٩ في النّص العربيّ المنشور، وجه الورقة ١٩٤ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

(١٤) يقول الأستاذ عرفان شهيد في كتابه الشهير "The Martyrs of Najran" ص ١٨٢ أنّ المخطوطة السينائية العربية ٤٤٣ تذكر على وجه الورقة ٢٥٦ أنّ أصل المسيحية بنجران يُعزى إلى الرسول سمعان الكنعانيّ.

٧. كلّها تذكر أنّ الملك اليهوديّ حاصر نجران ستة أشهر^{١٥}، وكذلك السينائية ٥٣٥.
٨. كلّها تذكر أنّ الملك اليهوديّ دخل نجران بالحيلة لا بالقتال، وأنه لدى سؤاله أهلها عن أسقفهم بولس، أنّهم أجابوا: "قد مات منذ عامين"^{١٦}، لكن نصّ السينائية ٥٣٥ يقول أنّهم أجابوا: "قد توفي منذ سنين"^{١٧}.
٩. كلّها تذكر أنّ الملك اليهوديّ أمر بنبش عظام الأسقف القديس وحرقتها ونثرها في الريح^{١٨}، وكذلك تذكر السينائية ٥٣٥.
١٠. كلّها تذكر أنّ الملك اليهوديّ أمر بإيقاد أتون نار عظيم. وخير النجرانيين بين اليهود والكفر بالمسيح وبين النار، فاختاروا النار^{١٩}.
١١. كلّها تذكر وجود نساء ساهرات في الليل يقرأن في الكنائس^{٢٠}، وهنّ غير الراهبات^{٢١}. وهذا مطابق لمفهوم بنات العهد في التراث السرياني.
١٢. كلّها تذكر أنّ الملك اليهوديّ دعا النجرانيين إلى اتباع المانيين في إنكار ألوهية المسيح، مدعيّاً أن الروم (ويقصد كلّ الروم) هكذا يقولون^{٢٢}. وكذلك تذكر السينائية ٥٣٥.
١٣. كلّها تذكر أنّ الحارث كان رئيس القوم وأنه كان ابن رجل حنيف^{٢٣}. لكن السينائية ٥٣٥ لا تقول أنه ابن رجل حنيف.
١٤. كلّها تذكر أنّ النجرانيين هربوا إلى الجبال دون أن تُعطي سبباً للهرب، لكنّها تقول أنه

(١٥) الجملة رقم ٥٥ في النصّ العربيّ المنشور، وجه الورقة ١٩٧ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

(١٦) الجملة رقم ٩٠ في النصّ العربيّ المنشور، وجه الورقة ١٩٩ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

(١٧) يُحتمل أن يكون الأصل غير المنقّط "سنتين" سقط منه سنّ واحد فصارت الكلمة سنين.

(١٨) الجمل من رقم ٩١ حتى ٩٣ في النصّ العربيّ المنشور، وجه الورقة ١٩٩ من المخطوطة السينائية

.٤٢٨

(١٩) الجمل من رقم ٩٧ حتى ١٢٥ في النصّ العربيّ المنشور، من وجه الورقة ١٩٩ حتى ظهر الورقة ٢٠٠ من

المخطوطة السينائية ٤٢٨.

(٢٠) الجملة رقم ٩٨.

(٢١) الجملة رقم ٩٩.

(٢٢) الجمل من رقم ١٠٦ حتى ١١٧ في النصّ العربيّ المنشور، وجه الورقة ١٩٩ وظهر الورقة ٢٠٠ من

المخطوطة السينائية ٤٢٨.

(٢٣) الجملة رقم ١٣٢ في النصّ العربيّ المنشور، وجه الورقة ٢٠١ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

ليس فراراً من الشهادة، لأنّ رجاءهم كان ميراث ملكوت السماء. أمّا السينائية ٥٣٥ فتقول أنّ سبب الهرب إلى الجبال هو "الحرص على بقا دينهم والرجاء للمعونة ان تدركهم"^{٢٤}.

١٥. كلّها تذكر أنّ الملك اليهوديّ جمع أربعة آلاف ومايتين وخمسين نفساً من الرجال والنساء والصبيان والشيوخ وقتلهم وهم على الإيمان بالمسيح بعدما دار بينه وبينهم حديثٌ طويلٌ^{٢٥}، وأنّ النسوة منهم تنافسنّ على الاستشهاد فضربت أعناقهنّ. أمّا السينائية ٥٣٥ فلا تورد نصّ الحديث الطويل بل تكتفي بالقول: "وكانوا يساقون الى النار، حتّى المرّة منهم كانت تحمل ولدها وتسوق الباقي معها حتّى تقتحم النار بهم حتّى كانوا يردّوا الناس عن النار بالسيوف".

١٦. كلّها تذكر أنّ الملك اليهوديّ أرسل في طلب سيدة المدينة، وأنّ اسمها "دهما بنت ازمع"، أمّا السينائية ٥٣٥ فتسمّيها "دهدار بنت ازمع" وتضيف على صفتها سيدة المدينة بأنّها "امراة الحارث"^{٢٦}.

١٧. وفيما تذكر كلّها أنّ سيدة المدينة "دهما بنت ازمع" ترفض أن تُكرّم من "انسان يعبد آلهة كثيرة"^{٢٧}، تقول السينائية ٥٣٥ أنّها ترفض أن تُكرّم ممّن "يكفر بالاهي".

١٨. كلّها تذكر أنّ سيدة المدينة "دهما بنت ازمع" وجّهت حديثها إلى "النساء العفيفات الصالحات" وإلى من كان موجوداً من النساء اليهوديات أو الخيفيات^{٢٨}. أمّا المخطوطة السينائية ٥٣٥ فتذكر أن دهما وجّهت حديثها إلى النساء العفيفات الصالحات فقط وتحذف الكثير من الكلام الوارد في حديثها^{٢٩}.

(٢٤) الجمل من رقم ١٣٣ حتّى ١٣٥ في النصّ العربيّ المنشور، وجه الورقة ٢٠١ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

(٢٥) يغطّي في النصّ المنشور من الجملة رقم ١٤٠ حتّى ١٨٢، أي من ظهر الورقة ٢٠١ حتّى ظهر الورقة ٢٠٣.

(٢٦) الجملة رقم ١٨٥ في النصّ العربيّ المنشور، وجه الورقة ٢٠٤ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

(٢٧) الجملة رقم ٢٠٧، وجه الورقة ٢٠٥ من المخطوطة السينائية ٤٢٨. أنظر أيضاً الحاشية ٨ أعلاه والجملة رقم ١٢ في النصّ العربيّ المنشور أنّ اليهود في سبأ كانوا يكرمون الأوثان.

(٢٨) الجملة رقم ٢١١ في النصّ العربيّ المنشور، ظهر الورقة ٢٠٥ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

(٢٩) وجه الورقة ٨٧ من المخطوطة السينائية ٥٣٥.

١٩. وحدها المخطوطة السينائية ٥٣٥ لا تذكر أسفَ الملك اليهوديّ على مقتل سيدة المدينة وابتئها^{٢١}، كما تحذف أيضاً الكثير ممّا دار بينه وبين القديس حارث^{٢١}.
٢٠. تذكر المخطوطات البلمندية أنّ عُمر القديس حارث هو خمسة وتسعون عاماً لكن المخطوطات السينائية تقول أن عمره خمسة وسبعون عاماً^{٢٢}.
٢١. كلّها تذكر دعاء القديسين مع الحارث إلى الله^{٢٣}، وهو متكئ على اثنين منهم باسماً يديه بشكل صليب كما فعل هارون وهور مع موسى في حرب إسرائيل مع عماليق^{٢٤}، وكأنّ هذا الدعاء نشيداً ليتورجيّ، ثم تبرّكوا من دماثة بعدما قُطع رأسه. وكذلك تذكر المخطوطة السينائية ٥٣٥.
٢٢. كلّها تذكر حكاية الغلام ابن الأربع سنوات الذي عضّ فخذ الملك اليهوديّ وهرب منه لينضمّ إلى أمّه مع شهداء الإيمان بالمسيح، رغم محاولات الملك لاستمالاته^{٢٥}.
٢٣. كلّها تذكر حكاية الرضيع ابن التسعة أشهر الذي نطق حائماً أمّه على الاستشهاد فاقتمت النار وهو على صدرها^{٢٦}.
٢٤. كلّها تذكر أنّ ناراً كانت تُرى في السماء إلى جانب الثريا، من العشية حتّى منتصف الليل^{٢٧}. وكذلك تذكر المخطوطة السينائية ٥٣٥.

-
- (٣٠) الجمل من رقم ٢٣٩ حتّى رقم ٢٤٢ في النصّ العربيّ المنشور، وجه الورقة ٢٠٨ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.
- (٣١) الجمل من رقم ٢٤٤ حتّى رقم ٢٧٢ في النصّ العربيّ المنشور.
- (٣٢) الجملة رقم ٢٧٣ في النصّ العربيّ المنشور، ظهر الورقة ٢١٠ من المخطوطة السينائية ٤٢٨. عندما تتلاصق الحروف غير المنقطة يصعب تمييز "تسعة" عن "سبعة" و"سبعين" عن "تسعين" كما في الجمل ٧٥ و٢٧٣ و٤٤٩. أنظر أيضاً الحاشية ١٧.
- (٣٣) الجمل من رقم ٣٠٩ حتّى ٣١٥ في النصّ العربيّ المنشور، وجه وظهر الورقة ٢١٣ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.
- (٣٤) أنظر في الكتاب المقدس سفر الخروج ١٢: ٨-١٦.
- (٣٥) الجمل من رقم ٣٢٦ حتّى ٣٦٣ في النصّ العربيّ المنشور، من ظهر الورقة ٢١٤ حتّى ظهر الورقة ٢١٦ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.
- (٣٦) الجمل من رقم ٣٦٤ حتّى ٣٧١ في النصّ العربيّ المنشور، من ظهر الورقة ٢١٦ حتّى وجه الورقة ٢١٧ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.
- (٣٧) الجمل من رقم ٣٨٠ حتّى ٣٨٣ في النصّ العربيّ المنشور، من ظهر الورقة ٢١٧ حتّى وجه الورقة ٢١٨ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

٢٥. المخطوطتان السينائيتان ٤٢٨ و ٥٣٥ تَظَنِّبان في مديح مدينة نجران، وكأنَّه أيضاً نشيد ليتورجي، فيما تورّد المخطوطات البلمندية أنَّ هذا النشيد سُمِع من تلك النَّار المنظورة في السماء ليلاً^{٢٨}.

٢٦. كلَّها تذكر أنَّ الملك اليهوديَّ كتب إلى ملك فارس يَحْتَه على ضرب النَّصارى في بلاده مقابل ثلاثة آلاف دينار^{٢٩}. وكذلك تذكر المخطوطة السينائية ٥٣٥.

٢٧. كلَّها تذكر أنَّ كتاب الملك اليهوديَّ قرئ على مسامع مندوبي ملك الرُّوم في مؤتمر السلام الذي كان منعقدًا بين الرُّوم والفرس ومَن والاهما من العرب (المناذرة والغساسنة)^{٤٠}. وكذلك تذكر المخطوطة السينائية ٥٣٥.

٢٨. كلَّها تذكر أنَّ إبراهيم رئيس بعثة الرُّوم إلى مؤتمر السلام وصَّحبه عادوا بعد انتهاء مهمَّتهم وأخبروا امبراطورهم بما يجري في نجران^{٤١}. وهو مِن قوره كَّتب إلى بطريك الإسكندرية ليأمر ملك الحبشة بنجدة النجرانيين، وكتب أيضاً إلى ملك الحبشة يبلغه بكيد الملك الحِميريِّ الذي - يكتف بضرب النَّصارى في أرضه بل يحثَّ الفرس على ضربهم أيضاً، ويطلب إليه نصرة النجرانيين^{٤٢}. وكذلك تذكر المخطوطة السينائية ٥٣٥.

٢٩. كلَّها تذكر أنَّ بطريك الإسكندرية تيموثاوس أقام الصلوات والقدَّاس وبعث بكتاب إلى النجاشي يأمره بغزو البلاد الحِميرية لنجدة النَّصارى^{٤٣}. وكذلك تذكر المخطوطة السينائية ٥٣٥.

(٣٨) الجمل من رقم ٣٨٤ حتّى ٣٩٤ في النَّص العربيّ المنشور، ظهر الورقة ٢١٨ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

(٣٩) الجمل من رقم ٣٩٦ حتّى ٤٠٠ في النَّص العربيّ المنشور، وجه الورقة ٢١٩ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

(٤٠) الجمل من رقم ٤٠١ حتّى ٤٠٤ في النَّص العربيّ المنشور، ظهر الورقة ٢١٩ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

(٤١) راجع الحاشية رقم ٤٠.

(٤٢) الجمل من رقم ٤٢٤ حتّى ٤٣٨ في النَّص العربيّ المنشور، وجه وظهر الورقة ٢٢٢ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

(٤٣) الجمل من رقم ٤٣٩ حتّى ٤٤٢ في النَّص العربيّ المنشور، من ظهر الورقة ٢٢٢ حتّى وجه الورقة ٢٢٣ من المخطوطة السينائية ٤٢٨.

٣٠. كلّها تذكر أنّ النجاشي كان قد تهيأ لغزو البلاد الحميرية ونجدة نصاراها قبل أن يأمره أو يستنهضه أحد^{٤٤}، بمجرد أن بلغه الخبر. وكذلك تذكر المخطوطة السنيائية ٥٣٥.
٣١. كلّها تذكر أنّ نسيباً للحارث أو رجلاً من أهل بيته فرّ من نجران ليبلغ النجاشي بما يحدث (تذكر السنيائية ٤٢٨ أنّ اسمه "حيار بن الفيض" وتتكم على اسمه البلنديّة)، لكنّ المخطوطة السنيائية ٥٣٥ تذكر أنّ رجلين: واحدهما ابن الحارث والآخر نسيب له يدعى "حيار بن الفيض"، هما اللذان بلغا النجاشي بما صنع ملك حمير بالنصارى^{٤٥}.
٣٢. كلّها تذكر أنّ النجاشي جمّع سفناً، لتجّار روم وغيرهم، صادفت أن كانت على شواطئ بلاده لتتنقل جنوده الذين هيأهم إلى البلاد الحميرية^{٤٦}. وكذلك تذكر المخطوطة السنيائية ٥٣٥.
٣٣. كلّها تذكر أنّ الحملة البرية المؤلفة من خمسة عشر ألفاً من السودانين قد أخفقت في الوصول إلى البلاد الحميرية^{٤٧}. وكذلك تذكر المخطوطة السنيائية ٥٣٥.
٣٤. كلّها تذكر أنّ الحملة البحرية بدأت بعد عيد العنصرة^{٤٨}. وكذلك تذكر المخطوطة السنيائية ٥٣٥.
٣٥. كلّها تذكر أنّ النجاشي وجيشه في السفن انقسموا إلى مجموعتين، وأنهم وقفوا في البحر مقابل الشاطئ في مواجهة الملك الحميري اليهودي ولم يجرؤوا على النزول إلى البرّ لكي لا يكونوا فريسة سهلة. وأنّ بعضاً منهم نزلوا خلسة لغرض إحضار ماء للشرب فصادفوا نسيب الملك الحميري فقتلوا حراسه وأخذوه أسيراً فذلّهم على ثغرة نزلوا فيها وباغتوا الجيش الحميري وغلبوه^{٤٩}. وكذلك تذكر المخطوطة السنيائية ٥٣٥.

(٤٤) الجملة رقم ٤٤٣ في النصّ العربيّ المنشور، من ظهر الورقة ٢٢٢ حتى وجه الورقة ٢٢٣ من المخطوطة السنيائية ٤٢٨.

(٤٥) الجملة رقم ٤٤٥ في النصّ العربيّ المنشور، وجه الورقة ٢٢٣ من المخطوطة السنيائية ٤٢٨.

(٤٦) الجمل من رقم ٤٤٦ حتى ٤٤٩ في النصّ العربيّ المنشور، ظهر الورقة ٢٢٣ من المخطوطة السنيائية ٤٢٨.

(٤٧) الجمل من رقم ٤٥٠ حتى ٤٥١ في النصّ العربيّ المنشور، ظهر الورقة ٢٢٣ من المخطوطة السنيائية ٤٢٨.

(٤٨) الجملة رقم ٤٥٢ في النصّ العربيّ المنشور، وجه الورقة ٢٢٤ من المخطوطة السنيائية ٤٢٨.

(٤٩) الجمل من رقم ٤٩٣ حتى ٥٤٠ في النصّ العربيّ المنشور، من وجه الورقة ٢٢٧ حتى وجه الورقة ٢٣١ من المخطوطة السنيائية ٤٢٨.

٣٦. كلَّها تذكر أنّ النحاشيَّ حَفَرَ بِيَدِهِ أساس الكنيسة التي أقامها في بلاط الملك الحِمَيْرِيّ، وأنَّه أمضى في الحفر مدّة ستين يوماً. المخطوطة السنيائية ٥٣٥ تؤكد أنه حفر بيده أساس الكنيسة لكنَّها تقول أنه أمضى في الحفر ستّة أيام فقط^{٥٠}.
٣٧. كلَّها تذكر أنّ النحاشيَّ كَتَبَ إلى بطريك الإسكندرية وإلى ملك الروم يُخبرهما بنصر الله^{٥١}. وكذلك تذكر المخطوطة السنيائية ٥٣٥.
٣٨. كلَّها تذكر أنّ بطريك الإسكندرية بعث أسقفًا إلى البلاد الحِمَيْرِيَّة لِيُقَدِّس الكنائس ويُعمِّد ويقم قسيسين وشمامسةً ورهباناً^{٥٢}. وكذلك تذكر المخطوطة السنيائية ٥٣٥.
٣٩. كلَّها تذكر أنّ النحاشيَّ ولَّى على سبأ رجلاً صالحاً اسمه ابراهيم وتحت سلطانه الأسقف وعشرة آلاف فارس قبل أن يعود إلى الحبشة^{٥٣}. وكذلك تذكر المخطوطة السنيائية ٥٣٥.
٤٠. كلَّها تذكر أنّ النحاشي بعد عودته إلى الحبشة دخل في الرهبانية وعاش متقشفاً مقرَّباً نفسه لله اعترافاً بفضل الله عليه وشكراً له^{٥٤}. وكذلك تذكر المخطوطة السنيائية ٥٣٥.

٢- مساهمة المصادر العربية غير المسيحية في تأكيد ما ورد في الرواية العربية

أول ما تجدر الإشارة إليه هو أنّ الاضطهاد اليهودي للمسيحيين في نجران انطبع في ذاكرة العرب انطباعاً قوياً، وأنَّ أحداثه مشهورة عند قريش حتّى أنّ محمداً بن عبد الله لما أراد أن يدعو أتباعه إلى الصبر على أذى أهل مكّة ذكَّروهم بالذين سبقوهم من أهل الإيمان للإقتداء بهم^{٥٥}. ورغم

٥٠. الجملة رقم ٥٤١ في النّص العربيّ المنشور، وجه الورقة ٢٣١ من المخطوطة السنيائية ٤٢٨.

٥١. الجملة رقم ٥٤٢ في النّص العربيّ المنشور، وجه الورقة ٢٣١ من المخطوطة السنيائية ٤٢٨.

٥٢. الجملة رقم ٥٤٣ و ٥٤٤ في النّص العربيّ المنشور، وجه الورقة ٢٣١ من المخطوطة السنيائية ٤٢٨.

٥٣. الجمل من رقم ٥٤٨ حتّى ٥٥٠ في النّص العربيّ المنشور، ظهر الورقة ٢٣١ من المخطوطة السنيائية ٤٢٨.

٥٤. الجمل من رقم ٥٥١ حتّى ٥٥٨ في النّص العربيّ المنشور، وجه الورقة ٢٣٢ من المخطوطة السنيائية ٤٢٨.

٥٥. أبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي (٤٦٨ هـ - ٥٤٣ هـ)، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، القسم الرابع، دار المعرفة ودار الجليل، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ص ١١٧. أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، ج ١، طبعة ثانية، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٨٠.

أَنَّ بعضاً من مفسري القرآن يعتبرون أنَّ سورة البروج، التي تتحدّث عن قتل أصحاب الأعدود، قد قيلت في ثلاث طوائف ثلاث مرات، على ما يقول التعلي أن أصحاب الأعدود ثلاثة: ذو نواس في اليمن، أنطاخيوس في الشام، وبختنصر في فارس^{٥٦}، غير أنَّ ابن أبي حاتم روى عن مقاتل أنه قال: "إنَّ الأعدود ثلاثة: واحدة بنجران باليمن، والأخرى بالشام، والأخرى بفارس، حرقوا بالنار. أمَّا التي بفارس والشام فلم يُنزل الله تعالى فيهم قرآناً، وأنزل بالتي كانت بنجران"^{٥٧}. فالمقصود في سورة البروج هم شهداء نجران لا غيرهم.

وَيُوكِّد عَلِيُّ بن أبي طالب في حديث له رواه بُشَيْرُ أنَّ آيات سورة البروج هذه قد قيلت بالنجرانيين، فيقول: "إنَّ أصحاب الأعدود هم ناسٌ بمزارع اليمن، اقتتل مؤمنوها وكفارها فَظَهَرَ مؤمنوها على كفارها، ثم اقتتلوا ثانية، فَظَهَرَ مؤمنوها على كفارها، ثم أخذ بعضهم على بعض عهداً ومواثيق أن لا يغدر بعضهم ببعض، فغدر بهم الكفار فأخذوهم أخذاً؛ ثم إنَّ رجلاً من المؤمنين قال لهم: هل لكم إلى خير، توفدون ناراً ثم تعرضوننا عليها، فَمَنْ تابعكم على دينكم فذلك الذي تشتهون، ومن لا، اقتحم النار فاسترحمتم منه؛ قال: فأججوا ناراً وعرضوا عليها. فجعلوا يقتحمونها صناديدهم، ثم بقيت منهم عجوزٌ وكأنها نكصت فقال لها طفل في حجرها: يا أمأه، امضي ولا تنافقي. قَصَّ اللَّهُ عليكم نبأهم وحديثهم"^{٥٨}.

هذا الحديث الأخير هامٌّ لأنّه يقول:

١- أنَّ أحداث اليمن هذه كانت بسبب إقتال المؤمنين مع الكفار (وهذا ما تقول به الجملة ١٤ في النص العربي المنشور: "فلذلك كان القتال يكثر فيما بين ملك الحبشة المومن بالمسيح وبين اهل سبا")،

٥٦ دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية، إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، د. عبد الحميد يونس، المجلد الثالث (١٧)، دار الشعب، القاهرة، طبعة ثانية، ٢٠/١/١٩٦٩م.

٥٧ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (متوفي سنة ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، الجزء السابع، طبعة سابعة مصححة، أشرف على طبعها وتصحيحها لجنة من العلماء، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٥م (١٤٠٥هـ)، ص ٢٦٠.

٥٨ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (متوفي سنة ٣١٠هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، الجزء الثلاثون، وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م)، ص ٨٥-٨٦.

٢- أن هناك معركتين كان النصر فيهما حليف المؤمنين (وهذا ما تقول به الجملة ١٥ في النص العربي المنشور أن "اهل سبا كانوا يرضون ملك الحبشة بدفع الخراج اليه والهدايا")،

٣- أن هُدنةً صار الاتفاقُ عليها بين المؤمنين والكُفَّار (وهذا ما تقول به الجملة ٢٢ في النص العربي المنشور أن ملك الحبشة بعد أن هزم ملك اليهود الذي هرب إلى الجبال "انصرف الى ارضه ومُلْكُه")،

٤- أن الكُفَّار غدروا بالمؤمنين ونكّلوا بهم (وهذا ما تقول به الجملة ٢٤ في النص العربي المنشور أن الشيطان حرَّك "ملك سبا المهزوم على الخروج الى القتال لمن خلف ملك الحبشة بارض سبا"، والجملة ٢٦: "ولم يدع احد بارض سبا من كان من النصارا احد الا قتله"، والجملة ٢٧: "حرَّك جيوشه للمسير الى نجران اهل مدينة الصلاح ومحبي المسيح اراد ان يبيدهم")،

٥- أن الكُفَّار عرضوا على المؤمنين أن يكفروا أو يدخلوا في النار فدخلوا في النار بشجاعة (وهذا هو فحوى النص العربي المنشور من الجملة رقم ٣٨ حتى ٣٧٢، أما شجاعتهم في اقتحام النار فهي ما مرّ ذكره أعلاه في تباين النصوص (١٥)،

٦- أن امرأةً من المؤمنين تردّدت فشجّعها طفلها الذي في حجرها على المضي في طريق الشهادة (وهذه هي حكاية الرضيع ابن التسعة أشهر الذي نطق حاثاً أمّه على الاستشهاد فاقتحمت النار وهو على صدرها على ما مرّ ذكره أعلاه في تباين النصوص (٢٣)٥٩ .

في الملاحظة رقم ٣١ في لائحة تباين نصوص النسخ العربية أعلاه تذكر السينائية ٤٢٨ أن الذي أفلت من القتل من النجرائيين ليُبَلِّغ النجاشي هو حيار بن القيص، في حين

٥٩) أنظر رواية مثلها في كتاب الكامل في التاريخ للإمام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعزّ الدين (المتوفي سنة ٦٣٠ هـ)، الجزء الأول، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نجبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، طبعة ثانية، ١٩٦٧م، ص ٢٥٣.

أنَّ المخطوطة السينائية ٥٣٥ تذكر أنَّ رجلين: واحدهما ابن الحارث والآخر نسيبٌ له يدعى حيار بن الفيض، هما اللذان بلَّغا النجاشي بما صنع ملك حِميرٍ بالنصارى. يقول أبو الفرج الأصفهاني أنَّ الذي أفلت من النجرانيين هو "دوس ذو ثعلبان" وأنه استغاث بملك الروم الذي زوَّده بكتاب وبعثه معه إلى النجاشي فأنجده^{٦١}. لكن الطبري في تاريخه مع جزمه بخر الأصفهاني قال: "وقد سمعتُ بعضَ أهل اليمن يقول: إنَّ الذي أفلت منهم رجلٌ من أهل نجران يقال له جبار بن فيض"^{٦١}. وزاد على ذلك وقال: "وأثبتُ الحديثين عندي الذي حدثني أنه دوس ذو ثعلبان"^{٦٢}.

وأيضاً كما في الملاحظة رقم ٣٥ في لائحة تباين نصوص النسخ العربية أعلاه لم تجرِ معارك كبيرة طاحنة بين الأحباش والحَميريين لأنَّ الناس في اليمن، كما قال الطبري في تاريخه، اجتمعوا إليه على اختلافٍ وتفرُّقٍ فالبلاء هو الذي جمَّعهم، لهذا "لم يكن له (لأرباط قائد جند الحبشة) غير أنه نأوش ذو نواس شيئاً من قتال، ثم انهزموا، ودخلها (اليمن) أرباط بجموعه"^{٦٣}.

أما أجمل ما عثرتُ عليه فهو نصُّ شعري منسوب إلى القديس الحارث بن كعب النجراني، وتساءلتُ: إذا كان من عادة العرب أن يُورِّخوا كلَّ شيءٍ بالشعر لكي يسهل عليهم حفظه فلماذا لم تُحفظ أقوال القديسين الحارث ودهما شعراً باللغة العربية؟ إذا لم يقلوا الشعر فلا مناص من أن تكون الأناشيد الليتورجية المستخدمة في العبادة مصاغةً بطريقة شعرية، وقد أشرتُ إلى عدد من النصوص التي يُحتمل أن تكون ليتورجية في الأساس. هذه الأبيات مكتوبة

٦٠) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، الجزء السابع عشر، تحقيق علي محمد الجاوي، إعداد لجنة نشر كتاب الأغاني بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٣٠٣ و ٣٠٤.

٦١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ هـ - ٣١٠ هـ)، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، الجزء الثاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦١، ص ١٢٣. كما يورد المحقق أن مخطوطات باريس وليدن تورد الاسم هكذا: "حيار بن فيض"، بينما تورده مخطوطات المتحف البريطاني "حيان بن فيض".

٦٢) المرجع السابق، ص ١٢٣.

٦٣) المرجع السابق، ص ١٢٥. وأيضاً ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص ٢٥٣.

على الرقّ الأخير من مخطوطة عربية بباريسية تحمل الرقم ٦٧٢٣، وهي لكتاب عنوانه: "تاريخ ملوك العرب الأولية من بني هود وغيرهم"، جمعه أبو سعيد عبد الملك بن (قرّيب) الباهلي الأصمعي امتثالاً لأمر الخليفة المأمون، وفرغ من نسخه الإمام المشهور أبو يوسف يعقوب بن السكّيت في العاشر من شوال سنة ثلاث وأربعين ومايتين (٢٤٣ هـ = ٨٦٥ م). وقد أظهر هذا النصّ الأديب حبيب زيات في مقالة له عن نصرانية الحارث بن كعب نشرها في مجلة المشرق، السنة الثامنة والعشرون، ١٩٣٠ م، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

وهذا نصّ ما هو مكتوب على الرقّ الأخير:

وبلغني يا أمير المؤمنين أنّ الحارث بن كعب لما حضرته الوفاة أقبل على بنيه وهو يقول:

١. "بنيّ اهتدوا (في) ما اهتديت سبيله
 ٢. غيبتُ زماناً لستُ أعلمُ ما الهدى
 ٣. فلما أراد الله رشدي وذلفتي
 ٤. فألقيتُ عنّي الغيّ للرشد والهدى
 ٥. وصرتُ إلى عيسى ابن مريم هادياً
 ٦. بنيّ اتقوا الله الذي هو ربكم
 ٧. لتعبده سبحانه دون غيره
 ٨. ونؤمن بالإنجيل والصّحف التي
 ٩. بنيّ صحبتُ الناس ثم خيرتهم
 ١٠. وألقيتُ أسنهم محلاً ومنصباً
 ١١. وألقيتُ أدهام لدى كل إمرة
 ١٢. بنيّ احفظوا للحجار واجب حقّه
 ١٣. وشبّوا على فرع اليفاعة ناركم
 ١٤. ولا تبدأوا بالحرب من لم يكن لكم
 ١٥. ومهما ازدرعتم يا بنيّ فإنّه
- فأكرم هذا الناس من كان هاديا
وقد كان ذاكم ضلّةً من ضلاليا
أضاء سبيل الحقّ لي وهدانيا
ويّممتُ نوراً للحنيفة باديا
رشيداً فسماني المسيح حواريا
براكم له فيما برا وبرانيا
لنستدّ في البلوى به والدواهيا
بها يهتدي من كان للوحي تاليا
فأفضلهم ألقىتُ من كان راعيا
رشيداً عن الفحشاء والإفك ناهيا
مضلاً لضلال العشيّة غاويا
ولا تسلموا للنائبات المواليا
ليأتّمها الضيف الذي بات ساريا
من الناس للعدوان والظلم باديا
سيحّمُد يوماً بذر من كان ذاكيا"

الأبيات الخمسة الأولى توضح أنّ الحارث اهتدى إلى الإيمان بالمسيح بعد أن كان ضالاً وهذا مشاراً إليه في الجملة رقم ١٣٢ في النصّ العربيّ المنشور أنّه كان ابن رجل حنيف.